Annals of letters and languages حوليات الآداب واللغات
ISSN 2335-1969 E.ISSN 506X - 2602
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/312

مجلة علمية دولية محكمة . كلية الآداب واللغات . جامعة محمد بوضياف .المسيلة الجزائر

المجلد 09عدد :01 مارس 2021 صفحة من : 23 إلى 37

خارطة الحرب في رواية "الحفيدة الأمريكية" لإنعام كجه جي: دراسة مكانية

Mapping the War in "The American Granddaughter" by Inaam Kachachi: A Spatial Study

محمد عمران *[1]

imran32_lla@jnu.ac.in – كلية دراسات الألسن والآداب والثقافات . جامعة جواهر لال نهرو . دلهي – الهند

معلومات المقال	ملخص (لا يزيد عن عشرة أسطر) Article info
تاريخ الاستلام : 03 / 02 /2021 تاريخ القبول : 24 / 02 /2021	قد برز الاهتمام بالنقد الجغرافي في نماذج النقد الإنجليزي والأروبي منذ منتصف القرن العشرين وتطور. في هذه المقالة أنا قمت بتطبيق منهج النقد الفضائي عند فرانكو موريتي[1] في ضمن بحوث النقد الجغرافي لدراسة تمثلات المدن وعلاقة السرد مع الفضاء. كيف تتم دراسة عناصر الحرب في النصوص السردية بعرض الخرائط الأدبية؟ هذه المقالة تقدم نموذجا تطبيقيا لهذا السؤال
الكلمات المفتاحية الحرب، الموت، الرواية العراقية، النقد الجغرافي، دراسة مكانية	
Keywords: **W**ar. City. Place. Iraqi fiction	***Abstract (in english)*** The Geocriticism has gained a popular place in scholarly reading of literary texts in recent in western literature. My approach to discuss the map of war in novel is based on Franco Moretti's methodology in his "*The Atlas of European Novels*". How we can read the literary text with the representation of city and place? This paper is an attempt to do this applied research.

[1] المؤلف المرسل: **محمد عمران**

. مقدمة:

الخرائط الجغرافية الأدبية عبارة عن رسم خرائط المحطات التي يمثلها السرد المتخيل بشكل مكان أو مدينة أو شارع. إن هدف الخرائط هو تفسير النص بشكل جغرافي ومساعدة الباحثين على فهمه وإدارك مراميه الداخلية وإضافة رؤى جديدة إلى الحقل النقدي الأدبي. في هذا البحث، أنا اخترت رواية "الحفيدة الأمريكية" لإنعام كجه جي نموذجا[2] لمناقشة المضمون والنص والعلاقة بين الزمان والمكان والواقع والمتخيل مع التركيز المكاني وتمثلاته وعلاقته مع النص في إطار دراسات فضائية، أو بعبارة أخرى، النقدِ الجغرافي. ونؤكد خلال هذه الدراسة بأن المكان يشكل المسار السردي من حيث المضمون والتمثيل.

كيف نعرف مدينة المسيب وبساتينها ونخلها، أين هي، وما وصفها، وكم المسافة بينها وبين العاصمة...؟ أسئلة ربما قيل إن الأدب يسكت عن إجابتها لأنها تُعد ضمن علوم الجغرافيا. وما كانت تبعيات الحرب وكيف تغيرت مجريات الحياة العادية عقبها...؟ ربما قيل إن التاريخ والإعلام هما المصدران الوحيدان لتوفير الإجابات عن هذه الأسئلة. خلال طرح هذه الأسئلة أريد مناقشة وظيفة النصوص الأدبية في التعبير عن البيئة المحيطة بالإنسان. إن علاقة الأدب بالجغرافيا والخريطة والبيئة والتاريخ والمجتمع هي علاقة طبيعية لأن هذه المحاور تتعلق بحياة الإنسان وتدور حولها. والأدب مرآة ثقافة الإنسان فكيف له أن يسكت عن تناول عناصر الجغرافيا والتاريخ وهو يضمن عناصر عقليته وأفكاره وثقافته وحضارته؟ أما **الأهداف** من هذه الدراسة المرتكزة على الفضاء في الأدب فيعود إلى نقد النصوص السردية من جهات متعددة التخصصات.

فرانكو موريتي وفكرته عن النقد الجغرافي إن رسم الخرائط لدراسة الأدب له فكرة ساذجة، كما يقول المفكر الماركسي الإيطالي **فرانكو موريتي:**

> ليس الجغرافيا وعاءً خاملا يجرى فيه تاريخ الثقافة لكنه قوة فاعلة تشيع في الحقل الأدبي وتشكل عمقه. ولذلك فإن استكشاف الصلة بين الجغرافيا والأدب، ثم رسم خارطة لهذا الأدب– لأن الخارطة هي أبرزت الصلةَ إلى العيان على وجه الدقة– لا بد أن يتيحا لنا رؤية بعض العلاقات المهمة التي كانت قد فاتتنا حتى الآن. (*Atlas*. 3 ترجمتي)[3]

إن مثل هذه الدراسة قد تأخذ منحيين: **الأول هو منحى دراسة المكان في الأدب، والآخر هو منحى دراسة الأدب في المكان، وقد يتداخل المنحى الأول في الثاني، لكنهما مختلفان بشكل جذري، وهذا الاختلاف لا يؤثر في منهج البحث الذي هو سواء بينهما**(سامية محرز، 2014). والمنهج الأساسي هنا يعتمد على رسم الخرائط والرسوم البيانية **والخرائط هنا ليست مجازية أو جمالية، وإنما خرائط تحليلية تشرّح النصوص الأدبية تشريحا غير معهود يأتي بمجموعة من العلاقات قد تظل غائبة وخفية بدونها.** (سامية محرز، 2014). كما يقول موريتي:

إن الخارطة الصحيحة الجيدة في علم الخرائط تفوق في قيمتها وأهميتها على أكثر من ألف كلمة لأنها تُنتج ألف كلمة في الحقيقة. (*Atlas*. 3)

ما جدوى الخرائط في الأدب وما تسمح لنا برؤيته؟ في الحقيقة، النقد الأدبي من وجهة الجغرافيا والخرائط اختبارٌ جديد غير معهود به في الحقل النقدي على الوجه الكثير، وهو إرساء بُعد آخر من أبعاد الدراسات الأدبية.إنه يطرح أسئلة من نوع يؤهل الباحث على دراسة الجوهر الداخلي للسرد وعلاقته بالمكان. ويركز على عمل أدبي يتحدث عن المكان: **فلكل عمل أدبي جغرافياه الخاص والحدود وتابوهاته المكانية وطرقه الخاصة** (*Atlas*, 5)، ثم بعد ذلك، تقوم الخرائط بإبرازها إلى العيان وتكشف عن المخ الداخلي للسرد، وهو مجال سيميائي تتبلور حوله حبكات السرد وتتشكل وتنتظم. يتبين من هناك **أن الشكل السردي هو نتاج قوتين: واحدة تعمل على المستوى الداخلي والأخرى تعمل على المستوى الخارجي** .(سامية محرز، 2014) علاوة على ذلك، المكان يلعب دورا جذريا في إنشاء الخيال ونفس الخيال ينتهي إلى قصة أو رواية، تخيل: الشارع يتوجه إلى وادي غرناطة ويمر ببساتين الزيتون الكثيفة، تمشي بين شوارع غرناطة وتتأمل في جدران القلعة التي لا يزال يُسمع دَويُّ شوكتها ثم تركب وتمر بالغابات والمدائن والبساتين والجبال إلى أشبيلية–من أعلى الجبل إلى الأسفل–وتجلس على شاطئ البحر الذي يقترب إلى المغرب العربي متأملا في أذيال الرمل والريح، كل هذه المناظر تنشأ قاعدة لمخيلة ثم تأخذ المخيلةُ ترسم خريطتها في ذهنك ثم تُشكل الهيكلَ السردي للقصة أو الرواية، وهذا ما يقال لأجله إن الجغرافيا يشكل البنية السردية.

لما عرفنا وظيفة الجغرافيا في تشكيل الهيكل السردي، نعرف أن الخرائط بمثابة **نقطة الانطلاق التي تمكننا من رسم مجموع الخطوط اللغوية والمرئية المتشابكة في الرواية وعالمها، ومن ثم، فالتمكن من علم الخرائط هو بمثابة تعلم لغة جديدة.** (سامية محرز، 2014) أنا أطرح سؤالا آخر لإبراز أهمية الخرائط: كم وقت نستغرق لقراءة رواية ما وفهمها حتى نستطيع تلخيص الأحداث والحبكات والشخوص لنناقش ثيمة الرواية؟ إن الخرائط تلخص لنا الرواية ومن خلالها نتمكن من فهم الحدود المكانية و وظيفة النص الروائي في تمثيلها.

تطورت دراسة الفضاء الأدبي وجغرافيا الأدب ورسم الخرائط الأدبية في النقد الغربي وبرز عديد من الفلاسفة في هذا المجال، على سبيل المثال مالكوم برادبري من انجلترا (1932-2000) وفرانكو موريتي من إيطاليا في النقد الجغرافي (1972) وبرتراند ويستفال من فرنسا (1962.) وروبورت تالي ، الولايات المتحدة (1969.). لهم كتب ومقالات وبحوث تناقش النقد الجيوغرافي للأدب في إطارات نظرية وتطبيقية.

الحرب في الأدب: الحرب موضوع أهم بين موضوعات أخرى في الأدب، يُسمع له دويٌّ في الأدب العربي منذ عصره الأول حتى الآن، ويهيمن على الأدب العربي قديما وحديثا. كانت الحرب بمثابة المصدر للشعر العربي الجاهلي. إن الشعراء الجاهليين استثمروا الأفكار من الحرب وأحوالها وآثارها السلبية وعرضوها في طابع شعري، على سبيل المثال، قال زهير بن أبي سلمي:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم (أبو زيد القرشي، 165)4

وقال لبيد بن ربيعة:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع (ديوان،110)[5]

وكذلك النثر الجاهلي الذي هو بداية الأدب العربي النثري ويتمثل في الحكم و الوصايا والخطب، لا يخلو من عناصر الحرب والقتال والتقدم نحو الدمار والخراب. على سبيل المثال قال هانئ بن قبيصة الشيباني مخاطبا يحرض قومهم على القتال:

> يا معشر بكر: هالك معذور خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر قاتلو، فما من المنايا بد. (أحمد حسن الزيات، 23)

فلا نكاد نجد أي عصر من العصور الأدبية يخلو من موضوع الحرب جاهليا كان أم إسلاميا أم أمويا أم عباسيا أم حديثا كان نثرا أم شعرا، وما من اتجاه أو موضوع نشأ في الأدب نجد له بقاءً مثل بقاء الحرب، برز الهجاء فانتهى مع نهاية أصحابه، وتوقف النسيب بحلول عصر الإسلام، ولم تكن القصائدُ في مدح الملوك أن تتزامن الأدب حتى عصرنا، ولم تعُد للمبالغة والتوصيف والوصف هيئةٌ في الأدب المعاصر كهيئته في الأدب الكلاسيكي، وهذه مؤشرات على حضور الحرب وأثرها في مواضيع الأدب العربي منذ بدايته حتى الآن. وصارت الحرب موضوعا عاديا في الرواية العربية المعاصرة، وذلك لتراكم الحروب المتوالية في الشرق الأوسط العربي: العراق وفلسطين وسوريا واليمن ولبنان، وكوارث الربيع العربي من تونس إلى بلدان أخرى، ودفعت هذه العناصر الاجتماعية والسياسية عجلةَ الحرب أن تتشكل إطارا سرديا في الأدب المعاصر. خلاصة القول، **أن الحرب ليست حديثة الولادة في الأدب بل لها امتداد زمني يعود إلى العصور الكلاسيكية للأدب.**

خارطة الحرب في العراق: إن العراق منذ أوائل القرون ظل يتعرض للحروب، لم يعد شطر من أرض العراق يتبقى حتى الآن إلا وجرت عليه حرب، يقول محسن الرملي وهو يمازح: ما مرت عشر سنوات آمنة على العراق حتى تعود حرب أخرى (مقابلتي الشخصية، مدريد،2019). إن الحرب هي صدع غير مشعوب في تاريخ العراق، يسمع معه دويّ حربَي 1967 و1973 ثم الحرب العراقية الإيرانية والكويتية وحرب 2003 في نماذج القصة والسرد من الأدب العراقي المعاصر، وأطلق النقاد عليه مصطلح **أدب الحرب**. والتي أعني بها هنا هي الحرب الأمريكية عام 2003. هاجمت قوات الجيش الأمريكي العراق من ثلاثة أطراف: من جهة الكويت ومن الرطبة من جهة الأردن ثم من جهة الشمال، ثم بدأت تمتد حتى مست وجود العراق كله بسوء، وأسفرت عن سقوط نظام صدام واحتلال البلد العريق. أما **الخريطة الزمنية** فبدأت نار الغزو من 20 آذار 2003، واحتوت بغداد 5 نيسان 2003، وشملت العراق كلها 15 نيسان 2003، هي كل مدة الحرب المستغرقة لاحتلال العراق هي 26 يوما. ونهائيا، أسقطت تكريت- مسقط رأس صدام ومدينة القصور- في أيادي قوات الأمريكان، وصارت محطة لها، واستقرت الجيوش الأمركية مشتغلة بمهمتها الحربية والسياسية في شمال العراق ولا تزال تتواجد فيها حتى الآن.

الآن، أنا أخذ رواية **الحفيدة الأمريكية لإنعام كجه جي** وأتأمل سردها، واستخرج البيانات منها: البيانات الزمنية والمكانية، (هنا بداية الأحداث... وهنا نهايتها... مكانها وزمانها...) وأضعها على خريطة الحرب (التي شرحتها أعلاه) وأتأملها في إطارها فأنتهي إلى نتيجة الآتية، وهذه البيانات الحربية التي تتمثل في الرواية:

> تمثل الرواية فضاء تسجيليا. تتزامن أحداثُ الحرب في السرد الروائي الحربَ الأمريكية بداية من بغداد، حين وصلت الساردة وهي زينة، بطلة الرواية، إلى بغداد خمسة عشر يوما بعد اندلاع الحرب. ثم تنطلق صوب تكريت مع القوات وتأخذ قصور تكريت مسكنا لها مع المعسكر الأمريكي وتبقى معهم على مهمتها إلى 25 آذار 2008م. وتبقى في بغداد وفي الموصل بضعة أيام لكنها تبقى في تكريت طيلة مهمتها الحربية.
>
> تبدأ أحداث الرواية بعد اندلاع الحرب وتنتهي قبل أن تنتهي الحرب، الحرب تشمل العراق كلها وتتجول القوات معظم المناطق والمدن لكن أحداث الرواية تبدأ من بغداد وتمر بسامراء ثم الموصل وتتمركز على منطقة تكريت، فتكريت هي صارت حبكة طويلة للأحداث وبغداد نقطة الانطلاق للحبكة. فالمحور الرئيسي للرواية هو حال العراق المدمرة في الحرب.
>
> الرواية تلامس الحربَ مدة ما بين 3 و4 سنوات بينما ذلك، امتدت الحرب إلى سنوات طويلة، الرواية تمثل ثلاث مدن عراقية بينما الحرب مرت بسائر المدن أو أكثرها، فاستطيع أن أقول إن الرواية مثّلت الحرب أقلها وما بقي منها أكثر منها وأشد. وذلك مؤشر إلى مدى مرارة الحرب، وما هو خفي عنها في السرد هو أشد من ناب جائع.

استطيع أن أختصر المزيد وأعرض زمكانية الرواية (Spatiotemporality) هكذا على النحو التالي:

الحبكة الزمنية الرئيسية	**من نيسان 2003 إلى آذار 2008**
الخريطة المكانية الرئيسية	**بين بغداد وتكريت للمهمة الحربية والموصل**

هكذا عندما تتبعت في الحبكات السردية برمتها، استطعت بجمع البيانات الزمانية والمكانية في داخل السرد وهذه البيانات من شأنها أن تسمح لنا برؤية كاملة في ثيمة الرواية وفهمها بدقة ووضوح. لأجل تطبيق البيانات، أنا اختار سمة نصية – متمثلة في بداية الحبكة ونهايتها مثلا– ثم آتي بالمادة، وأضعها سويا على ورقة الخريطة وأرسم خريطة أدبية، هذا هو، في آخر الأمر، يمثل مقدمة لماهية الجغرافيا الأدبية. وهذا نموذج لدراسات فضائية في الرواية. (ملحق الرسم. 1) [6]

تقدم الصورة حبكات السرد وخريطة للأماكن التي احتوت عليها عناصر السرد، هذه الأمكان تمثل المد الأمريكي غزوا وحربا وتخريبا. هذه الخريطة الصغرى للحرب داخل السرد، في الحقيقة، تمثل خريطة الحرب الكبرى خارجه. هذه هي العلاقة بين النصوص و المكان أو الفضاء، وتمثيل الواقع نفسه.

تفكيك البنية التحتية للهيكل السردي: لا بد من تجزئة البنية التحتية للسرد إلى أجزاء لأتمكن من تحديد الأمكنة للأحداث المتنوعة والعلاقة التفاعلية بينهما، وأستطيعَ مقارنتها مع أحداث الحرب في خارج السرد، لأن هذا المنهج التحليلي أو التجزيئي يساعدني على وضع الرواية في ميزان الواقعية، هذا ما يسميه النقاد بـ **العلاقة بين الواقعية والمتخيل**. وعلاوة على ذلك، يساعدني هذا التحليل على تحديد مكان التحرك السردي ورسم الخرائط له بدقة وسهولة، ثم رسمِ خريطة الحرب الصغيرة التي يمثلها السرد استجابة للحرب الكبرى في خارج عالم السرد. ويجرى هذا التفكيك بناء على الحبكات المكانية (Spatial Plots)للسرد على النحو التالي:

المكان الذي قد تم تناوله في السرد يتمثل في **المدن**: الموصل وتكريت وبيجي وسامراء وبغداد والمسيب واليوسفية والمحمودية واللطيفية وديترويت **والولايات**: واشنطن وأريزونا ونيويارك **والبلدان**: سوريا ودبئ وكندة وسويدن ولندن ونيوزيلندا وألمانيا. هذا يعني أن الرواية تحدثت عن تسعة عشر مكانا، بينما ذلك، **الستة الأولى** (من المدن) تمثل حبكة للأحداث الحربية: الدمار والقتل والدماء والخوف والضياع والصراع العراقي والأمريكي، **والثلاثة الأخيرة** تتحدث عن موضع قتل الجندي، ثم **الأخيرة** (منها) مسكن للساردة أو البطلة (وهي زينة التي تعيش في ديترويت)، بينما ذلك **الثانيتان الأخيرتان** (من الولايات) و**الستة الأولى**(من البلدان) تمثل **شتات العائلة العراقية** أما **ألمانيا وواشنطن** فهما تمثلان انطلاق الساردة أو مرورها بهما وهكذا ليس لهما دور رئيسي في بناء الأحداث. أما بعض المدن الأخرى التي وردت أسمائها في السرد فلا تمثل دورا حيويا ملحوظا ما يمنحها التمركز في تصريف وجهة الأحداث السردية. هذا هو عرض فضائي للهيكل المكاني للسرد مما يساعدنا على فهم تصوير الأماكن في الرواية ومدى دورها وعلاقتها مع أبطال الرواية. وهذا تمثيل المكان نفسه. يعرض ملحقُ الرسم الرقم 2 شتاتَ عائلةٍ عراقية، تعيش منتشرةً في العالم، هذا هي ظاهرة الاغتراب والهجرة في الرواية.(ملحق الرسم 1. و 2.)[7]

نيويورك: لا تزال مدينة نيويورك مصدر الهام للانطباعات الداخلية التي يقوم عليها بناء المكونات السردية كلها، يبدو أن أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 قد لعبت دورا هاما في تشكيل صورة نيويورك في ضمير البطلة، فهي لا تزال تطارد فكرتها طيلة سفرها من ديترويت إلى العراق، وتمنح لها قوة إنفعالية وراء خدماتها للأمريكا في أرض وطنها. فنيويورك شيّدت حجرا أساسيا لأحداث الرواية، ذلك، لأنه كلما أوقعتها الأفكارُ الوطنية المنشئة من مسقط رأسها (العراق) في ورطة التوتر والشك في الحرب ضد العراق، ظهرت نيويورك وصورتُها المرسومة تُبرّران سلوكها وفعلها. فنيويورك تجعل لها كابوسا يحطم عراقيّة الساردة ولا تتخلص منه مشاعرها.

الموصل: ظهرت الموصل في الرواية كالفلاش باك في داخل السرد، قالت:

كنا أيامها في الموصل الخضراء أم الربيعين، بعد أن جعلها المد الشيوعي حمراء (رواية، 52).

يمثل قولها نقطة الانطلاق في تاريخ الموصل وطبيعتها: الموصل الخضراء والموصل الحمراء، بينما ذلك، "الخضراء" تمثل التوبوغرافية يعني كل ألوان طبيعة الموصل: بينها مواسمها وأعشابها ومياهها والأمن والهدوء والتآلف والمعيشة فيها، وبالعكس، كلمة "الحمراء" تمثل وضعَ الموصل من حيث السياسة وتحولَه من هدوء إلى عدم استقرار وغوغاء. الخضراء كناية عن الأيام الهادئة والحمراء كناية عن الأيام الدموية. كانت للمد المتصاعد للشيوعية عام 1959م تحت رأية ثورة الشواف آثارٌ مدمرة[8] دنست جمال الموصل الذي وصفته زينة بـ الخضراء. علاوة على ذلك، جمعت زينة بين الزمان والمكان، عندما قالت "خضراء" دلت على زمن الموصل الهادئ والآمن (قبل الستين) من جانب ومن جانب آخر دلّت على حدود فضائية لهذا الهدوء والأمن.

بغداد: مثلت بغداد فضاء نموذجيا للصراع النفسي داخل الساردة، وكذلك مثلت بغداد الرؤيتين في تعامل الساردة معها. الرؤية الأولى أنها تنظر إلى بغداد كمدينتها الأم، والرؤية الثانية إلى بغداد أنها مدينة الدكتاتوريا والمنافقين، فلا بد من تخليصها من أيادى النظام. وتتمثل الرؤيتان في النص. الرؤية الأولى تجعلها تعيش في الفضاء المشاكس وهي بدأت تشك في مهمتها لأنها رغم علاقة طفولتها مع بغداد عادت لتزويد الحرب بدعمها اللغوي، تعيش فيها جدتها وأم رضاعتها وصديقاتها وهي تستحي من لقاء جدتها، وبالعكس، نرى الرؤية الثانية تقويها وتشجعها وتبرر لها مهمتها تبريرا لا مناقضة فيه، لأنها عادت لتخليص العراق من صدام وتوزيع عسل الديموقراطية من فضل أمريكا وإنقاذ الشعب العراقي من هاوية النظام ليتنفسوا نفسا باردة في بساتين جورج بوش.

من ناحية أخرى، نرى السرد يمثل توبوغرافية بغداد وتقسيمَها إلى بغداد النظام وبغداد الاحتلال. أما بغداد قبل الاحتلال فهي بغداد جميلة هادئة، لا يتحرش أحد على النساء إن يمشين في الطرق والشوارع بوحدهن أي وقت، وبالعكس، هي بغداد التي شهدت رجال الأمن كانت تروح لياليها إلى البيوت ويأخذ بعض السكان للتفتيش في مقرات الشرطة الخفية، ووسط هذه الموجة التفتيشية قبضت الشرطة على أبيها وأدخلته في السجن. أما بغداد أثناء الاحتلال فهي "المشهد الجهنمي" (رواية، 40) تعيش في الأجواء المغلفة بالخوف وانعدام الأمن والوحشة، وتتمثل في دمار وقتل وقصف ودماء وخراب، قالت:

> رأيتُ القصر مهجورا، مقصوفا ومحطما، تتناثر الأحجار في صالاته التي نجتازها...إنها القيامة قد مرت من هنا... وقد رأيت، وكنا نعبر جانبا من بغداد، حطاما لم أر مثله من قبل، بلى ... إن هذه المباني المحترقة المتداعية التي تصفر فيها الريح تشبه الرماد الذي هطل على نيويورك بعد ذلك الحادي عشر الأليم من سبتمبر. (رواية، 46،48)

علاوة على ذلك، **بغداد ظهرت كمحطة السفر** لها، هي تنزل في مطار بغداد الدولي مع حرس الجيوش الأمريكية وتنتظر لمشرف الشركة ليحدد لها العمل، ثم تذهب إلى تكريت وتبقى هنا مرتبطة بمهمتها فلا تزور بغداد إلا للقاء جدتها أو للسفر إلى واشنطن.

سامراء: ظهرت سامراء مرة واحدة في السرد، حينما كانت زينة تتوجه إلى تكريت مرت بسامراء، وأطلعت من شاحنة على المئذنة الملوية فهذا كان رد فعلها:

هذه سامراء:

خرجت صرخة عفوية مني حين لاحت في الأفق المئذنة الملوية. تذكرت تاريخي الخاص في هذا المكان. (الرواية 48.)

تعد هذه المئذنة من أهم المعالم المعمارية الأثرية في تاريخ العراق الإسلامي، واكتسبت أهميتها التاريخية في أسلوبها المميز المعماري الفريد الذي لم يسبق له أن بُني مثله في أي مكان، هي من آثار العصر العباسي وكانت بنيت بشكل أسطواني لأكبر المساجد في العالم الإسلامي.[9] ما شهدتها زينة تلوح في الأفق إلا صرخت لأنها كانت تذكرها بأيامها الطفولية. هناك ظهر **التحول الانبطاعي في داخل الشخصية**. العراق، التي نزلت عليها زينة لتدميرها، تحتضن كل ألوان وورود من طفولتها وكيف استطاعت أن تعود إليها بأيدي السوء. هذا الحوار الصامت جعلها تكره مهمتها العسكرية، وهذا ما دفعها إلى مغادرة الوظيفة نهائيا. هكذا ساهمت المساحةُ الفضائية في تطوير انطباع ومشاعر وأحاسيس في داخل الشخصية، وانتهت أحداث السرد إلى هدوء والقيم الإنسانية. هذا ما يعتبره الباحثون بـ التفاعل السردي مع المكان أو العلاقات السردية مع المكان. (ملحق الرسم 3.)[10]

تكريت: وجدت مدينة تكريت حضورا واسعا في داخل السرد مثل بغداد. زينة نزلت في بغداد وبقت هنا بضعة أيام تنتظر صدور التعليمات العملية وتوزيع أماكن المهمة. فأُمرت بأن تبقى في تكريت، وصلت إلى تكريت مارةً بسامراء ودخلت قصور صدام المدمرة، ومكثت هناك إلى آخر الرواية. فهذه **خارطة المسافة الزمنية المحورية** للرواية (ملحق الرسم. 4)، يعنى من نيسان 2003 إلى آذار 2008م. ليس لتكريت حضور واسع في الأحداث السردية فقط بل، إنها تعمل في تصوير صورة العراق في خارطة داخل الشخصية، وتشكل وجهات نظرية للأحداث، إنها تلح من وراء الستار على رسم صور للعراق ما قبل الحرب وما بعدها في فكرة الشخصية التي أدت نهائيا إلى حسن الخاتمة. بفضلها نهائيا صارت زينة كإنسانة متفكرة بعيدة عن غوغاء الصراعات، وكفرت بالجلال الأمريكي بينما كانت تؤمن بها، وأخذت تلوم نفسها وهي كانت تعتز بمهمتها. هكذا تكريت شكلت رؤية الشخصية، ومثلت دورا مهما في إعطاء إطار الجمال المتخيلي إلى السرد. أنا قمت بفحص صورتين منطلقتين في فكرة الشخصية قبل دخولها تكريت وبعدها، قالت:

> إذًا، فقد كانت تكريت هي مصيري، أعود بعد خمسة عشر عاما من الغياب لأجد نفسي في عقر دار الدكتاتور التي جئنا لإسقاطه،.... لم يكن يزعجني التفكير بالمؤخرات التي جلست قبلي على هذا المقعد، وكيف كانت هذه القاعة تحتشد بسيد الدار وضيوفه. تصورتهم مجموعة من المنافقين والفاسدين المتشبثين بالحكم... بأسنانهم.(الرواية. 60)

ليس في هذا النص حوار مباشر مع الآخر إنما هو حديث النفس في شكل مونولوج داخلي ، هذا حوار داخلي يمتلئ بالانطباعات الشخصية، يمثل الفكرة الداخلية في ذات الشخصية ومدى تعاملها مع القصور و المدن بل العراق كلها. هذه الفكرة ليست لوحدها، هناك آلاف من الناس الذين قد زُرعت هذه الفكرة في مخاطرهم، ولم يعد يعرفون عن العراق سوى بلد الفاسدين وسوى أن يأتيَ

إليهم بأمريكا تخلصهم وينزل عليهم المائدة من السماء. هذه صورة تكريت المرسومة في داخل الشخصية نشأت قبل الحرب، لكنها بدأت تتلاشى بمرور الوقت، ونهاية المطاف راحت باهتة. يجتمع في هذه الصورة بُعدان اجتماعيان: سلبي وايجابي. **خلاصة القول**: إن هذه المدن الأربعا: بغداد وسامراء وتكريت والموصل، من شأنها أن تعتبر بالحبكة المحورية للسرد ومدينة نيويورك تؤسس فكرة أساسية لبناء الهوية الأمريكية للبطلة عراقية المولد.

خارطة الموت في السرد: الموت في السرد والسرد في الموت، كلا المفهومين يتداخلان ببعضهما، لكنهما يختلفان إلى حد ما. الموت في السرد هو البحث عن عناصر الموت في داخل المكونات السردية ودراسة تأثير الموت في تشكيل المضمون السردي، والسرد في الموت يرتبط بمناقشة حيثية السرد زمانا ومكانا، في هذا الإطار نضع النص السردي في الواقع الخارجي ونقيمه. في هذه المقالة أنا أركز على إبراز أحداث الموت في المكونات السردية ومدى أثرها في الشخصية. (أنظر ملحق الرسم 5) هذا هو جغرافية الموت في الرواية. ويدل الشكل على أربعة قصص الموت التي سردتها زينة في الرواية، واتخذت أربعة أماكن لسردها. وهي:

الموصل: قالت:

> احتفلتُ في **الموصل** بثاني كريسماس لي في العراق. دخل انتحاري، قبل العيد بأربعة أيام، إلى صالة الطعام في المعسكر الغزلاني وهو يلف جسمه بحزام ناسف. فجر نفسه وسط الجنود الذين يتناولون الطعام. مات إثنان وعشرون شخصا بينهم أربعة عشر عسكريا من قواتنا وأربعة جنود
> عراقيين، وأصيب واحد وخمسون أميركيا بجروح.... لم أسمع صوت الانفجار وأنا في غرفتي في الغزلاني، المعسكر الذي أقيم في موقع مطار الموصل... (الرواية، 150-151).

أنا تأملت في النص السردي وجمعت البيانات منها: أربعة أيام قبل كريسماس، الهجوم الانتحاري، موقع الحادثة، عدد الضحايا والمصابين، الاحتفال الثاني. كل هذه البيانات ساعدتي في الوصول إلى **واقعية** هذه حادثة السرد المتخيلي فكشفت أن زينة تتحدث عن الهجوم الانتحاري الحادث في 21 كانون الأول 20004م على النحو التالي:

> خُذ تاريخ كريسماس يعني 25 ديمسمبر، انقص منه 4، النتيجة هي 21 يعني 21 ديسمبر، ثم حدد عام الاحتفال الثاني وهو 2004 لأنها عادت إلى العراق 2003، فالنتيجة هي 21 ديمسمبر 2004. ثم خذ صحيفة الاتحاد وصحيفة واشنطن بوست لتاريخ 22، تجد هذا الخبر فيهما مع صورة الحادثة. هذا هو أسلوب **المزج بين الواقعية والخيال**، أن يأخذ السارد صورة واقعية ثم يمثلها في النصوص السردية بأسلوب سردي أو طابع سردي.

تكريت: سردت زينة بصراحة حادثة موت واحد فقط. فتاة عراقية كانت تختلف إلى المعسكر الأمريكي وأحبت جنديا أمريكيا، وتفاقم الأمر إلى الزواج. صباح ذات يوم، وجدت جثة تلك الفتاة المخبرة مرمية على تل الأذيال أمام مبنى المعسكر.

بغداد. شهدت زينة صلاة الجنازة لجدتها في كنيسة القديس يوسف في الكرادة الشرقية. ثم ما ذكرت إلا موت جندي عراقي في بغداد.

المسيب. مثلت الساردة هذه المنطقة من ثلاثة أوجه: وجهُ وصفِ طبيعتها ووجهُ وصفِ وضعها في الحرب ووجهُ موقعا الجغرافي، ودمجت الوصف المكاني بالسرد التاريخي، وقالت:

> خرج أربعة آلاف عسكري من جماعتنا ومعهم ألف شرطي عراقي، للبحث عن المفقودين في **مثلث الموت**. **منطقة بساتين ونخيل تقع بين اليوسفية والمحمودية واللطيفية**. لا **تبعد أكثر من نصف ساعة من بغداد** إلى **جنوب من بغداد**. بعد أيام عثرت الشرطة العراقية على **جثة رجل** يرتدي بزة عسكرية أميركية... كانت الجثة منتفخة، تطفو منذ يومين على الأقل بين **أعشاب الفرات**... أصدرت اللفتانت كولونيل بيانا جاء فيه أن الجثة هي لـ **جوزيف** أنزاك جونيور، أحد الثلاثة المفقودين.(الرواية. 173)

هذا أفضل نموذجا للنص الجغرافي في متن الرواية كله. (الملاحظة: أنا قمت بتكبير الكلمات التي تدل على الجغرافيا والفضاء مباشرة.) يقودنا الأسلوب إلى جغرافية النص ووصفه الفضائي ويساعدنا على خارطة الزمان والمكان. ما تم تحديد موقع الجثة بل، إن الساردة اكتفت بالإشارة إليه بعرض الموقع الجغرافي له. وهي منطقة تقع في جنوب من بغداد... وتبعد أكثر من نصف ساعة... وقريبة إلى اليوسفية والمحمودية واللطيفية... ويجرى بها نهر الفرات.... وهي منطقة البساتين والنخل... والعثور على جثة. هذه البيانات كلها ساعدتني في رسم خريطة لها. (انظر ملحق الرسم. 6) في الحقيقة، لا تقع منطقة المسيب بين اليوسفية والمحمودية واللطيفية بل، إنها تقع في طرفها الجنوبي. هذا هو الفرق بين المادة الجغرافية والنصوص السردية، **إن الجغرافيا تناقش المواقع دون الأسلوب الرمزي، بالعكس، السرد يعتمد على أسلوب الجمال والرمز والإشارة والخيال**. السيمة الحمراء هي موقع حبكة الموت في السرد.

خاتمة المقال: قد تمثل هدف المقال في إمكانية دراسة جيوغرافيا الأدب ومناقشة الحدود المكانية للنصوص الروائية عن طريق توظيف الخرائط. يمكن لي أن اعتبر أطلس الرواية الأوروبية لفرانكو موريتي بالمنهج الأساسي أو المنهج النظري لسبب خروجه بنظرية جديدة. ولا يتضمن مقالي مجموعة من التعريفات والمفاهيم والمقترحات التي تشكل نظرة منظمة متكاملة لدراسة الخريطة الأدبية بل إنما ارتكز على نوع واحد من الأساليب التي يمكن استخدامها في تحقيق هدف دراسة الخريطة الأدبية.

Mapping the War in *The American Granddaughter by Inaam Kachachi*: A Spatial Study

The American Daughter by Inam Kachachi, an Exiled Iraqi female novelist, tell us the story of a child girl who witnessed the American war by herself and worked with the US Army in Iraq. The story describes the sites of war, death of soldiers and civilians in Post 2003 Iraq. In this paper, my primary objective is to represent the geographical boundaries with the application of Geocriticism introduced by Moretti in his book "Atlas of European Novels." The paper has focused on how the cities are represented in the war narratives and how we can present this study through Literary Cartography.

Geocriticism, Literary Geography, Literary Cartography, maps, roads, space, and cities are the Spatial Studies' main keywords. Since the last 20th century, it has become a prominent literary criticism trend in English and other western literature. There have been some remarkable studies on engaging this methodology in western literature, but this multidisciplinary method to study the literary texts is yet to be focused on Arabic fiction.

The primary concern is to study and read the literary texts through multi-disciplinary dimensions. In this strategy, we can define how we can discuss the geography of literature and how we can roadmap the literary cartography by using the maps and geographies.

Since this novel is contextualizing the death, loss, war incidents, bomb blasts in Postwar Iraq, this paper's conclusion represents the novel's geographical sites that are acted as narrated by the protagonists of the story.

الإحالات والمصادر:

1. إنعام كجه جي، **الحفيدة الأمريكية**، ط. 3، دار الجديد بيروت، 2010
2. موريتي فرانكو، **أطلس الرواية الأروبية 1800–1900**، وارسو المملكة المتحدة، 1998

المراجع:

3. الزيات أحمد حسن، **تاريخ الأدب العربي**، كتب خانه رشيدية دلهي، سنة الطباعة غير موجود
4. باشلار غاستون، ترجمة، غالب هلساء، **جماليات المكان**، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984
5. حسن المودن، **مجلة فكرونقد**، الزمان والفضاء في الرواية من خلال كورونوتوبيا هنري ميتران، العدد 31، https://www.aljabriabed.net/n34_11muddan.htm
6. سامية محرز، **مجلة الف**، خارطة الرواية : فرانكو موريتي وإعادة الرسم التايخي الأدبي، العدد 34، مطبع جامعة القاهرة الأمريكية، 2014 *JSTOR*, www.jstor.org/stable/24392144. Accessed 8 Apr. 2020.
7. سعدون نادية هناوي، **مرأى وشرفة: دراسات في النقد الروائي**، عمان، الطبعة الأولى، 2017
8. الشبيبي جميل، **جدل الهوية في الرواية العراقية الجديدة**، دار الرافدين بيروت، الطبعة الأولى، 2018
9. مخيف علي عبد الحسين، **في قصة الحرب: دراسة نقدية**، دار الحرية للطباعة بغداد، 1984

1. Barrows, Adam. *Time, Literature, and Cartography after the Spatial Turn: the Chronometric Imaginary*. Palgrave Macmillan, 2016.
2. Bida, Aleksandra. *Mapping Home in Contemporary Narratives*. Palgrave Macmillan, 2018.
3. Michael J. Shapiro "Literary Geography and Sovereign Violence: Resisting Tocqueville′s Family Romance." *For Moral Ambiguity: National Culture and the Politics of the Family*, NED - New edition ed., University of Minnesota Press, Minneapolis; London, 2001, pp. 89–111. *JSTOR*, www.jstor.org/stable/10.5749/j.ctttsdfq.8. Accessed 8 Apr. 2020.
4. Peraldo, Emmanuelle. *Literature and Geography: the Writing of Space throughout History*. Cambridge Scholars Publishing, 2016.

5. Smolansky, Oles M. "QASIM AND THE IRAQI COMMUNIST PARTY A STUDY IN ARAB POLITICS: (Part One, 1958-1959)." *Il Politico*, vol. 32, no. 2, 1967, pp. 292–307. *JSTOR*, www.jstor.org/stable/43209470. Accessed 8 Apr. 2020.
6. Tally, Robert T. *Melville, Mapping and Globalization: Literary Cartography in the American Baroque Writer*. Continuum, 2011.
7. Tally, Robert T. *Spatiality*. Routledge, 2013.
8. Westphal, Bertrand, and Robert T. Tally. *Geocriticism: Real and Fictional Spaces*. Palgrave Macmillan, 2015.
9. Westphal, Bertrand. "Elements of Geocriticism." *Geocriticism*, 2007, pp. 111–147., doi:10.1057/9780230119161_5.

الهوامش

[1] **فرانكو موريتي**، هو مفكر ومؤرخ أدبي وصاحب النظرية، ولد 1950 في إيطاليا، هو الذي ابتكر في توظيف الصور الجغرافية في التحليل الأدبي، له كتب في النقد السردي، أشهرها "أطلس الرواية الأروبية" و"الملحمة الحديثة" و"الرسم البياني والخرائط والأشجار" وغيرها. علاوة على ذلك هو أسس المعمل الأدبي وهو جهة مختصة بتحليل الإشكاليات الأدبية وأطلق عليه "العلوم الإنسانية الرقمية". (سامية محرز، 2014) تم تحميل الورقة من موقع ج. ستور www.jstore.org/stable/24392144

[2] هي رواية لإنعام كجه جي، وهي كاتبة صحفية عراقية هاجرت إلى باريس في موجة المهاجرة الجماهيرية من العراق، صدرت الرواية لأول مرة عام 2008 ودخلت في القائمة القصيرة لجائزة بوكر العربية، لها روايات أخرى، أشهرها "طشارى" 2014 و"النبيذه" 2017، تعيش الكاتبة في باريس حاليا.

[3] Moretti, F. ***Atlas of the European Novel 1800–1900***. Verso. UK. 1998 p. 3 Retrieved from http://gen.lib.rus.ec/

[4] أبو زيد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، نهضة مصر الطباعة والنشر والتوزيع، سنة غير موجود

[5] **ديوان لبيد ابن ابي ربيعة**، دار صادر بيروت

[6] صور الخريطة تم تحميلها من جوجول ميب https://www.google.com/maps/@34.4280766,44.0470128,7.12z

[7] https://www.vectorstock.com/royalty-free-vector/outlines-world-map-vector-21602719

[8] الجنابي خالد محمد، **حركة الشواف أم مجزرة الموصل عام** 1959، صحيفة المثقف، http://www.almothaqaf.com/ab/freepens-09/42914------- 1959----

[9] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (**مادة س. م. ر.**) المجلد الثالث، بيروت، ص. 175

[10] https://whc.unesco.org/en/list/276/

ملحق الخرائط والبيانات

€)@ëõrQ¶ª Q

الملحق الأول يحدد الحدود التي دارت أحداث الرواية فيها والمؤشر المثلث الأسود للأعلى يحدد بداية سفر البطلة بينما ذلك المؤشر الأسود للأسفل يحدد نهاية منطلقات الساردة. والمؤشر الأحمر والأزرق يمثلان مهمات حربية تقوم بها البطلة في الرواية. الملحق الثاني يحدد تواجد شتات عائلة الساردة ومدى توزيع أفراد الأسرة الواحدة في العالم من الشرق والغرب. يساعدنا الملحق في فهم معاناة التشتت العائلي نتيجة للحروب وغياب الأمن.

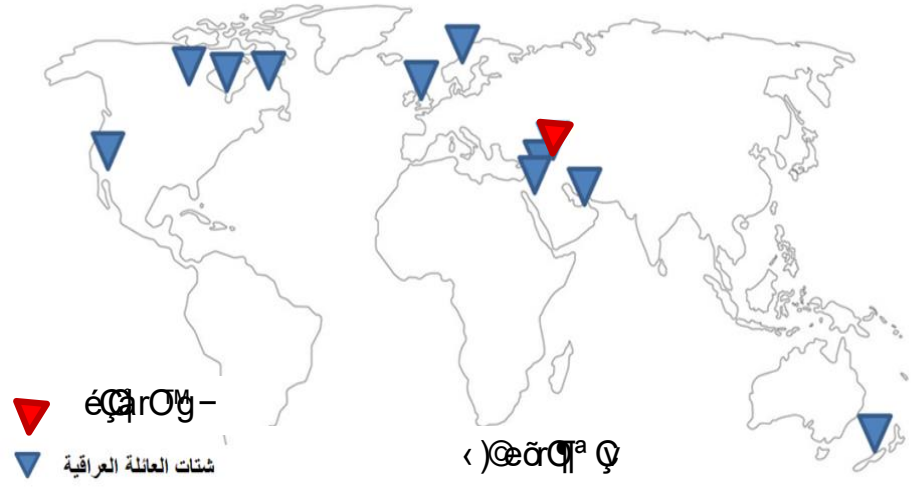

›)@ëõrQ¶ª Q

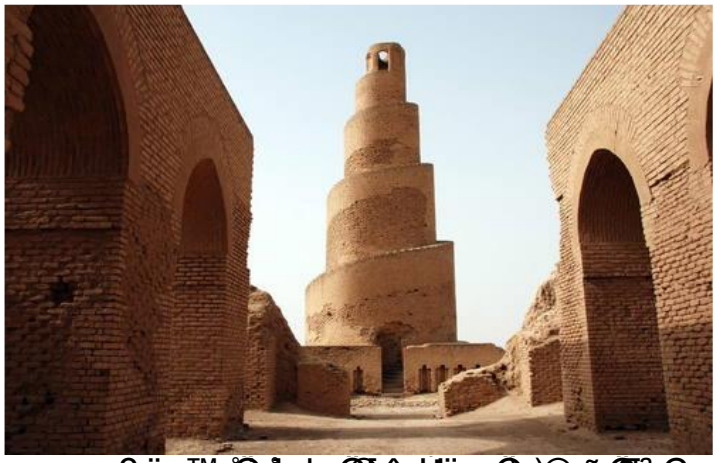

£p¨v ™Vå0ä deŒ[ôpU¨x rO»)©eõrQ¶a Q
)¨Åulä¡ñ

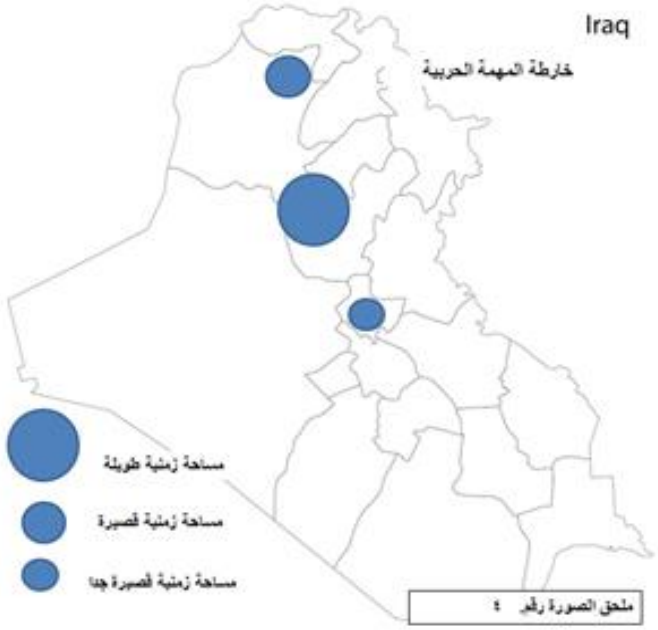

المؤشرات في الملحق الرابع تحدد محطات مهمة الساردة في الحرب العراقية مع الإشارة إلى فترة زمنية استغرقتها الساردة حيث الحجم الأكبر يشير إلى أطول مدة المهمة الحربية.

إن الملحق الخامس يحدد جغرافيا الأماكن التي وقعت الأموات فيها مع الإشارة إلى أعداد كثافة الأموات حسب الاختلاف في حجم المؤشرات.

يحدد المؤشر الازرق الدائري في الملحق السادس موضع العاصمة التي تعج فيها أحداث الحرب بينما ذلك المؤشرات الصغيرة المتمثلة في النقاط غير الخطية تحدد المدن الثلاث التي فيها عثرت على جثة الجندي المفقودة. تسرد الرواية حادثة جثة الجندي المفقود مع تصوير المنطقة بجمالياتها الطبيعية الخلابة وحديقة النخلة المياه وتجعل القاريء يفقد الروح الهادئة في جمال المنطقة الطبيعي .